تقـديم

بقلم : د. عبدالله النفيسى

● صراعنا مع الصهاينة فى فلسطين منذ ١٩٣٦ حتى الآن هو فى (جوهره) صراع مع الغرب. ذلك لأن الغرب (الأنجلوسكسونى واللاتينى) الذى اكتوى من اليهود، حولّهم إلى (هراوة) يتحكم بها بالعرب ما بين الخليج والمحيط. الغرب هو الذى أقام كيانًا للصهيونية فى فلسطين ١٩٤٨ وهو الذى قام بالتحضير السياسى والدبلوماسى لتوليد ذلك الكيان القائم اليوم فى فلسطين المحتلة والمسمّى (إسرائيل). والغرب هو الذى يوفر الملاءة الاقتصادية والعسكرية والدولية لتغطية إسرائيل، وهو الذى يمدّ ذلك الكيان بأغذية الاستمرار لا بل و«التفوق على محيطه الإقليمى، وهو الذى يقدّم لذلك الكيان منظومة من الضمانات الحمائية التى أعلاها الڤيتو Veto فى مجلس الأمن، والغرب هو الذى يُحرّض ذلك الكيان لشن حروبه على العرب (١٩٤٨ ـ ١٩٥٦ ـ ١٩٦٧ ـ ١٩٧٣ ـ ٢٠٠٦ ـ ٢٠٠٨ . .)، وهو الذى يُصوّر ويُضلّل الرأى العام العالمى على أنها حروب (دفاع عن النفس Self defence) تضطر إليها إسرائيل من حين لآخر. والغرب هو الذى بنى لإسرائيل (مُفاعل ديمونا ـ Dimona) فى صحراء النقب الذى سلَّح إسرائيل بأكثر من مائتى قنبلة ذرية (انظر تفاصيل ذلك فى كتاب «سيمور هيرش» الموسوم The Samson Option أى خيار شمشون).

● والغرب فى الجوهر هو الولايات المتحدة (مركز الثقل) فى المجموعة الغربية والتى تشكل (دول المركز Centre States) فى النظام الدولى والتى تتوسط بقية

الدول المنتظمة فى دائرة الأطراف (دول الأطراف Periphery States) التى تشملنا نحن العرب.

● ومنذ تآكل وذوبان الكتلة الاشتراكية مطالع تسعينيات القرن الفارط وتشرذم الاتحاد السوفييتى إلى ٢٥ جمهورية، بدأ نفوذ الولايات المتحدة يتضاعف، ويزداد، وبدأ العالم يشهد ميلاد (القطب الأوحد) فى النظام الدولى الجديد New World Order المتمثل بالولايات المتحدة. وصار من العسير فهم أي تطورات من تطور هذا العالم دون ربط مفاعليه بالولايات المتحدة سواء من جهة عسكرية أو سياسية أو ثقافية. من هنا أصبحت دراسة (المشروع الأمريكى) حاجة مهمة لفهم العالم وتطوراته الكبيرة Macro. والمشروع الأمريكى هو مشروع (هيمنة Hegemony وسيطرة Control) وترى النخبة الحاكمة فى الولايات المتحدة أن سقوط الاتحاد السوفييتى ١٩٩٢ يوفّر لها الفرصة المؤاتية لإعادة صياغة النظام الدولى وفق ما تقتضيه المصالح الأمريكية والمشروع الأمريكى.

● ومن أبرز المجموعات السياسية التى ساهمت فى بلورة المشروع الأمريكى هم (المحافظون الجدد Neo. Cons) وهم مجموعة من المفكرين اليهود والصهاينة المسيحيين Christian Zionists ومن أبرزهم «ليو شتراوس» الذى يعتبر الأب الفكرى للمحافظين الجُدد وهو يهودي أمريكى من أصل ألمانى وأستاذ فلسفة سياسية فى جامعة شيكاغو الأمريكية، وكذلك «إيرڤنج كريستول» وهو يهودى أمريكى مؤسس مجلة كومنترى Commentary الناطقة باسم المحافظين الجدد و«بول وولفوويتز» نائب وزير الدفاع الأمريكى الأسبق ورئيس البنك الدولى الأسبق يهودى أمريكى يُعتبر (دماغ المحافظين الجدد)، ومن أبرز مهندسى احتلال العراق، وكذلك «ريتشارد بيرل» مُنظر احتلال العراق يهودى صهيونى أمريكى متطرف و«جون بولتون» السفير الأمريكى الأسبق فى الأمم المتحدة ومشهود عنه تعصبه لمصالح الكيان الصهيونى واحتقاره للقوانين الدولية، وأهم أفكار المحافظين الجدد: أمام أمريكا فرصة غير مسبوقة لإعادة صياغة النظام العالمى وفق المصالح الأمريكية ومفاعيل المشروع الأمريكى ومفهوم الحرب

الاستباقية Preventive war وتغيير النظام السياسى Regime Change وهيمنة أمريكا American Hegemony (أمريكا الخيّرة) على العالم ـ مفهوم الحرب على الإرهاب War on terror وغير ذلك من المفاهيم Concepts العدوانية التى تبرز التوسع والاحتلال والغزو ووضع اليد على حقول النفط فى العالم (كما حدث فى الخليج والجزيرة العربية والعراق). لقد استغل المحافظون الجُدد أيما استغلال المستوى العقلى والفكرى المتواضع للرئيس جورج بوش وتوجهاته الإنجيلية المتطرفة بعد أن كان مُدمن خمر فى حانات تكساس (باعترافه) وتمكنوا من السيطرة عليه، وكذلك السيطرة على أجهزة القرار فى الولايات المتحدة، وبالتخريج السياسى الذى زوّده به المحافظون الجدد أخذ جورج بوش قرار غزو العراق واحتلاله، وكذلك قرار غزو أفغانستان واحتلال أراضيها وما زال الأمر قائمًا مما حرّك هناك حركات مقاومة مسلحة نشطة وواعدة (يُسلط د. حامد قويسى الضوء على حركات المقاومة فى العراق وأفغانستان فى كل من الفصل الرابع والخامس من هذه الدراسة الثمينة).

● وتعتبر عملية ١١ سبتمبر ٢٠٠١ فى حى مانهاتن، بنيويورك (نقلة نوعية) فى سياق المشروع الأمريكى إذ ظهر إلى الوجود (قُطب جديد) يعلن و(بطريقته الخاصة) معارضته للمشروع الأمريكى الذى يستهدف الهيمنة على العالم الإسلامى وسلب مقدراته وثرواته ومصيره. لقد زرعت عملية ١١ سبتمبر ٢٠٠١ الخوف والذعر فى أروقة القرار للمشروع الأمريكى. فالولايات المتحدة ـ بعد ١١ سبتمبر ـ تتحرك دولياً بدافع هذا الخوف الذى تحوّل إلى ثقافة اليوم فى أمريكا، ثقافة الخوف هذه Fear Factor أصبحت تتحكم بعلاقة الدولة مع المواطن وتتحكم بعلاقة المواطن بالمواطن وبعلاقة الولايات المتحدة بمحيطها الجغرافى. لقد كشفت عملية مانهاتن عدة أمور. **أولاً:** أثبتت أن الولايات المتحدة نفسها وعلى أرضها ومؤسساتها السيادية (البيت الأبيض ـ وزارة الدفاع ـ الكونجرس ـ وغيرها) ليست بمنجاة من الضربات المضنية. **ثانيًا:** أن الولايات المتحدة لا تتمتع بوضع أمنى لا يمكن اختراقه. **ثالثا:** أن نَقْل التوتر Intensity والمجابهة

Conflict من منطقة الأطراف Periphery فى النظام الدولى إلى منطقة المركز Centre أمر ممكن لا بل إن نتائجه إيجابية ومن الممكن استثمارها. **رابعًا:** إن المجتمع الأمريكى (ولعدة أسباب موضوعية ليس هنا المجال المناسب لطرحها) لديه قابلية للتفكك والحالة الاتحادية (الفيدرالية) لم تعد تتمتع بقاعدة اجتماعية متماسكة ولولا توظيف الحكومة الفيدرالية لعامل الخوف Fear Factor الذى أعقب عملية مانهاتن توظيفيًا ذكيًا ويوميًا حال دون الانهيار الداخلى لكان الأمر أعظم. **خامسًا:** أنه من الممكن استدراج الولايات المتحدة لسوح عديدة من الصراعات والمجابهات التى تستنزف طاقتها العسكرية والاقتصادية وإغراقها فى حركة حلزونية من التيه السياسى الذى يصعب قياس النجاح فيه مثل تيه (الحرب على الإرهاب War on terror) **سادسًا:** لأن الولايات المتحدة مكروهة كراهية شديدة فى أنحاء العالم عبر عنها بوش نفسه ?(Why they hate us) أكثر من مرة، فإن عملية ١١ سبتمبر وما تمخضت عنه من إفراط فى استخدام القوة فى العراق والأفغان وجوانتنامو وأبي غريب والفلوجة وغيرها أدى فى النهاية إلى اتجاه الولايات المتحدة إلى العزلة الدولية بالرغم من حضورها الدولى المبنى على القوة التى تفتقد القبول السياسى الطوعى فى العالم. **سابعًا:** أن الولايات المتحدة أضعف بكثير مما نتصور، يقول الجنرال أبى زيد أعلى قائد عسكرى يتعامل مع العراق: «إن الجيش الأمريكى لم يُعَدّ لخوض حروب طويلة كالتى يخوضها فى العراق وإنما أعد لتحقيق النصر بسرعة ودقة لأنه متمرس فى الحروب القصيرة لا لخوض حروب طويلة»، ويُعلق بات بوكانان (مرشح الرئاسة) بالقول على كلام أبى زيد إذا كان جيشنا على وشك الانكسار فهل فقد قائده عقله عندما يصدر تهديدات بالحرب على إيران؟ وإذا كان جيشنا لم يُعَد لخوض حروب طويلة فهل جُنّ هؤلاء الذين يتحدثون بجموح عن خوض الحرب العالمية الثالثة؟

● بالرغم من الانتعاش العسكرى الظاهر للمشروع الأمريكى إلا أن ثمة علامات ومؤشرات ونُذُر وإرهاصات تؤكد على أن هذا المشروع يواجه ظروفًا وملابسات من الممكن اعتبارها بداية لسلسة من التراجعات المهمة،

يؤكد «بول كيندى» فى كتابه الثمين (صعود وسقوط القوى العظمى The Rise & Fall of Great Powers) أن الولايات المتحدة ستمر بمرحلة انحسار متواصل ابتداء من ٢٠١٠ وأكد أن هذا التوسع العسكرى الذى تنغمس فيه الولايات المتحدة فى أنحاء متعددة من هذا العالم سيؤدى إلى إضعافها عسكريًا لأنه يؤدى إلى (تشتيت القوة) ومضاعفة تكاليف ذلك اقتصاديًا. صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٨، وبلغت مبيعاته ملايين النسخ داخل الولايات المتحدة وترجم إلى ٣٣ لغة من بينها اللغة العربية، كما نشر جيرمى جرانت Jeremy Grant فى الفاينشال تايمز اللندنية FT (٩ سبتمبر ٢٠٠٧) تقريراً لمسئولين أمريكيين حذروا خلاله من انهيار أمريكا على الطريقة التى حدثت للإمبراطورية الرومانية. كما أكد «ديفيد وولكر» مراقب النفقات العامة فى الحكومة الأمريكية Auditor of Public Spending ومحقق الكونجرس فى قضايا المال العام أن الأوضاع الحالية فى الولايات المتحدة تشبه إلى حد كبير ما كان عليه الحال فى روما القديمة قبل سقوطها وانهيارها، ومن الجدير بالذكر أن المشروع الأمريكى يقوم على أساس وفلسفة (السوق الحرة) وهو نظام اقتصادى يؤدى حتمًا إلى سوء توزيع للثروة وتفاقم ظاهرة الاحتكار والتمايز الطبقى بين الناس ومن الدلائل على ذلك أن ١٪ من الأثرياء فى الولايات المتحدة يمتلكون ما نسبته ٥٠٪ من مجموع ثروة شعوب الولايات الخمسين كلها فى حين أن ٨٠٪ من السكان لا يملكون إلا أقل من ٨٪ من مجموع الثروة. كذلك يلاحظ أن ديون الدول النامية المدينة للغرب (وخاصة للولايات المتحدة) قفزت من ٦٣ مليار دولار عام ١٩٧٠ إلى ٤٨٠ مليار دولار عام ١٩٨٠ ثم زادت عام ١٩٩٦ إلى ٣٢ ضعفًا حتى وصلت ٢٠٠٠ مليار دولار. كما يلاحظ أنه عندما تلجأ الدول الغنية إلى اسقاط ديونها على الدول الفقيرة لا تفعل ذلك إلا إذا فرضت بعض الشروط الابتزازية عليها وقد ارتفع عدد الدول الفقيرة من ٢٥ دولة عام ١٩٧١ إلى ٤٨ عام ١٩٩٩ ليصل اليوم إلى ٨٦ دولة وأصبح نصف عدد السكان فى العالم البالغ ستة مليارات نسمة يعيش الفرد منهم على أقل من دولار أمريكى فى اليوم. وإنه من

دواعى السخرية المضحكة المبكية التى تمارس تحت شعار (التجارة الحرة) أن مجموع ما يتقاضاه ثلاثون ألف عامل أندونيسى يعملون فى مصانع أحذية (NIKE) الأمريكية فى أندونيسيا ١٩٩٧ كان أقل مما تقاضاه لاعب كرة السلة الأمريكى (مايكل جوردان) مقابل ظهوره لبضعة ثوان فى مشهد دعاية تليفزيونية لحذاء (نايك) فى ذلك العام. والقروض الأمريكية والأوروبية التى تمنح للدول الفقيرة تنطوى على شروط خطيرة جدا من الفوائد الربوية تصل إلى ١١ دولارًا مقابل كل دولار تحصل عليه كقرض أو مساعدات، وتذكر الإحصاءات أن كل طفل إفريقى يولد اليوم وهو مدين بحوالى ٣٥٠ دولارًا للدول الغربية (وخاصة الولايات المتحدة).

● ولأن منطقة الشرق الأوسط هى منطقة انطلاق Launching pad أو إخفاق المشروع الأمريكى فإن أى فشل تواجهه فيها (العراق والأفغان كمثال) لا شك ينبنى عليه سلبيات تلحق المشروع ككل. وبوحى من تباطؤ المشروع الأمريكى فى العراق ومعيقاته اعتبر «ريتشارد هاس» كبير مخططى وزارة الخارجية الأمريكية الأسبق فى مقال نشره فى «الفورين أفيرز ـ Foreign Affairs» (٢٦/ ١٢/ ٢٠٠٦) أن العالم يشهد نهاية المرحلة الأمريكية فى الشرق الأوسط وأن قرار غزو العراق عامل استنزاف اقتصادى وعسكرى للولايات المتحدة يُعجل تراجعها وتراجع مشروعها فى المنطقة. أيضًا من العوامل التى تُغذى تراجع المشروع الأمريكى هو المبالغة فى تضخيم خطر ما وصفته بالإرهاب وما تفرع عن هذا التضخيم من سياسات عدوانية خرقاء (مثال عمليات القصف العشوائى لمناطق مدنية وأحياء سكنية فى العراق والأفغان وباكستان) التى لا شك تُفاقم من كراهية هذه الشعوب للولايات المتحدة ومشروعها فى تلك المناطق لا تجعل من هذه المجتمعات بيئة متعاطفة مع المنظمات التى توصمها الولايات المتحدة بـ(الإرهاب) كما تُورط الولايات المتحدة فى احتكاكات سياسية مُعقدة مع الحكومات فى تلك المناطق وهى احتكاكات جدية تتعلق بالسيادة والحدود والأمن وغيره من الاعتبارات المهمة. ومن العوامل المهمة التى ستؤثر حتمًا على المشروع الأمريكى

وتدفعه نحو التراجع هو بروز الكتلة الأوروبية والكتلة الآسيوية وتوسع الإسلام السياسى عبر تياراته المتوالدة والمتجددة. فالاتحاد الأوروبى (لأنه دولة أوروبية) والذى تأسس رسميا عام ١٩٩٢ أخذ يكتسب نفوذًا سياسيًا بالتدريج فى عدد من المناطق التى ينشط فيها المشروع الأمريكى مثل الشرق الأوسط. أصبح الاتحاد الأوروبى أكبر مانح للمساعدات التى يتم تقديمها للدول الفقيرة وتفوق مساعداته ضعف المساعدات التى تقدمها الولايات المتحدة، ولدى الاتحاد الأوروبى قوات انتشار خاصة بأوروبا مكونة من ثمانين ألف جندى. كذلك هناك الكتلة الآسيوية المكونة من عدة دول أبرزها مُثلث بريماكوف (وزير خارجية الاتحاد السوفيتى الأسبق) الصين وروسيا والهند (يعتقد «يڤجينى بريماكوف» أنه لو تشكل مثلث استراتيجى متحالف آسيوى من هذه الدول الثلاث لتمكن من عزل مفاعيل المشروع الأمريكى فى كل قارة آسيا). لذلك تشكلت ١٩٩٦ مجموعة شنغهاى التى تضم هذه الدول التى سبق لپول كينيدى أن قال إنها ستشكل قوى موازية لأمريكا قبل ٢٠٤٠ هذه المؤشرات لتراجع المشروع الأمريكى لا شك سوف تتفاعل خلال هذه السنوات القادنة لغير صالحه (يُقدر إجمالى القوات المسلحة لدول منظمة شنغهاى (أبرزها الصين والهند وروسيا) بنحو ستة ملايين مقاتل) فتأمل أثر ذلك على هيبة المشروع الأمريكى فى الشرق عمومًا. ثم هناك القطب الجديد غير المنظور حسب توصيف «مايكل وينستون» وهو مجموعة حركات الإسلام السياسى والجهادى الذى ينتظر أن يتعاظم دوره فى العقدين القادمين والتى تحولت (الحرب على الإرهاب War on Terror) محركًا Catalyst له ومنشطًا.

لا شك أن مبادرة د. حامد قويسى فى التصدى لهذا الموضوع سوف تُثرى المكتبة العربية، ونحن ننتظر تفاعل مراكز البحوث فى داخل الوطن العربى وخارجه معه، على أمل أن يكون هذا البحث مساعدًا لأصحاب القرار الاستراتيجى العربى والإسلامى فى فهم حقيقة الحقبة التى نحياها الآن.

مقدمة الدراسة

يتناول هذا الكتاب موضوعًا بالغ الأهمية والحساسية؛ تعود أهميته ليس فقط لكونه محددًا لمستقبل الأمة العربية والإسلامية «الوجودى»، والدور الذى يمكن أن تلعبه على المسرح العالمى، لكن دون مبالغة فإن الموضوع يرتبط به مستقبل العالم والبشرية ككل ومن هنا كانت حساسية تناوله، فلم يحدث ـ سوى فى فترات تاريخية عابرة ونادرة ـ أن انفردت قوة دولية أحادية بالهيمنة على العالم والمقدرات الكونية، فالمنطق الإمبراطورى نتاج الإمبراطوريات التوسعية قد تتيحه مقومات مركبة تتوافر ـ فى لحظة تاريخية معينة ـ لكيان سياسى واقتصادى ما؛ فيسعى عبر رسم استراتيچيات كونية إلى تدعيم قوته، وتعميم منطق هيمنته على الجميع ـ بدرجات متفاوتة ـ الأمر الذى يفرض ضرورة «الاستقرار» لأوضاع الهيمنة الإمبراطورية، وأنماط «السلام» و«التعايش» التى تسعى لتحقيقها وفرضها...

وغالبًا ما لا يلتفت واضعو الاستراتيجيات الكونية للإمبراطوريات الساعية للسيطرة والهيمنة إلى خطورة إطلاق منطق ممارسة القوة والعنف على الساحة الدولية، ومن ثم افتقاد العدالة والتوازن هذا من جانب، ومن جانب آخر الالتفات إلى التفرقة بين ما تفرضه «قيادة» العالم وما تتطلبه من «مؤهلات» و«منظومة قيم» ورسالة عالمية حقيقية، وما تقتضيه «رئاسة» العالم من توافر مصادر «قوة» و«هيمنة» وسيطرة ونفوذ..

ومن نافلة القول إن أمتنا العربية والإسلامية فى ميزان السياسات الدولية والاستراتيچيات الكونية، لم تعد طرفًا فاعلاً أو مؤثرًا فى غالب الأحيان ـ رغم امتلاكها لمقدرات ومؤهلات هذا الأمر ـ إنما أضحت «موضوعًا» وساحة يُمارس

فيها «الفعل» الاستعمارى، وللمنطق الإمبراطورى الأمريكى المهيمن حاليًا والذى يُعد؛ ـ بدوره ـ استمرارًا وإعادة «إحياءً» و«تجديدًا» للمنطق الاستعمارى الإمبراطورى القديم «الأوروبى». إنه تكرار لذات «التبرايرات» و«الحجج»، و«الرسالة الحضارية»، ونفس «الفعل» التقسيمى والتجزيئى لمجتمعاتنا وأمتنا.. الفارق أن الأمر الآن يتم بصورة أقسى وأصرح، وأكثر سفوراً وعلانية!!!

إن المشاريع المكونة لمنطق الهيمنة الأمريكى الحالى على الأمة هى إعادة صياغة لذات المشاريع التى عانت منها الأمة إبان هيمنة المشاريع الاستعمارية التقليدية الأوروبية القديمة من بريطانية، وفرنسية.. إلخ؛ ولنبحث فى الجذور التاريخية القريبة أو البعيدة ـ سنجد ذلك ماثلاً وواضحًا للعيان.. والواقع أن على قوى المقاومة لمنطق الهيمنة الأمريكى على الأمة ـ أن تدرك بوعى طبيعة هذا المشروع وإمكاناته ومعادلاته الحاكمة، وحدود التجديد فى أدوات وآليات هيمنته وسيطرته، تطور على الجانب المقابل من استراتيچياتها فى مدافعته من موقع الندية الحضارية، ومن أدوات ومسالك وآليات مقاومة مشاريعه المختلفة.

ولعله من باب المصارحة أن نذكر أنه رغم وضوح منطق الهيمنة الإمبراطورى الأمريكى واستراتيچيته الكونية؛ فإن مشاريع مقاومته على امتداد ساحة الأمة ـ مازالت دون القدرة على الاستجابة لتحدياته بكثير ـ بالطبع هناك بدايات ولكنها ضعيفة، ومشتتة، ولا تمتلك رؤية على مستوى وقدر التحديات.

وفى هذا الكتاب نحاول أن نضع بعض الملامح العامة للمشروع الإمبراطورى الأمريكى ولمنطق الهيمنة الذى تفرزه استراتيچيته الكونية فى المنطقة العربية والإسلامية مع الإشارة إلى نماذج خمسة من المشاريع الجزئية المكونة له والمرتبطة ـ مع الإشارة ـ خاصة فى الفصل الثالث ـ إلى الأبعاد والجوانب الثقافية والفكرية فى هذا المشروع الإمبراطورى، ولاعتبارات خاصة بالتكامل الفكرى بين فصول هذا الكتاب قدمنا فى الفصل الثانى الأبعاد الاستراتيچية لمقاومة مشروع الهيمنة الأمريكى على المنطقة وبدهى فإن الرهان فى هذه اللحظة التاريخية ـ على القوى الحية فى الأمة على الأقل فى بعث «روح» التحدى،

و«إرادة» التصدى لهذا المشروع . . وأيًا كان الرأى فى ذلك الأمر ؛ فإن هذا الفصل تم تكريسه لبيان هذه الأبعاد الاستراتيچية قبل أن ننطلق فى الفصلين الأخيرين لبيان دراستى حالة لبدايات مقاومة ومدافعة هذا المشروع ؛ إذ تناولنا فى الفصل الرابع الجذور التاريخية لنشأة تنظيم القاعدة عبر تناول ظاهرة «الأفغان العرب» باعتبارها تجسد البدايات الأولى للاحتكاك العملى بالمشروع الأمريكى وقبل أحداث سبتمبر ٢٠٠١ ، واستمرت بعده بصورة أو أخرى فى أفغانستان على نحو ما هو مشاهد ، لننتقل بعد ذلك فى الفصل الخامس لتناول بدايات نشأة المقاومة فى العراق للاحتلال الأمريكى . . وبدهى أن العالم العربى والإسلامى يشهد أشكالاً أخرى لمقاومة المشروع الأمريكى مباشرة ـ عبر مقاومة المشروعات الفرعية المكونة لمشروعه الكلى للهيمنة كما أوردناها فى هذه الدراسة ـ أو حتى بشكل غير مباشر عبر أطراف أخرى كما يحدث فى ساحات أخرى ـ كالوضع فى فلسطين ولبنان ، ولنكن واضحين إن الرهان فى مواجهة مشروع هيمنة كونى ومقاومته على «الأمة» ككل ، وليس فقط مجموعات أو جماعات محددة يمكن أن تقوم بدورها فى قيادة المدافعة والمقاومة وتجسيد الإرادة . . وهى عملية متعددة الجوانب الاقتصادية ، والسياسية ، والفكرية ، والاستراتيچية . . . إلخ ، تراكمية النتائج سوف تستمر إلى أمد غير قصير ويتحقق فيها النقلات النوعية فقط عندما نكون مؤهلين لذلك ـ وعلى قدر الأمانة والمسئولية .

والواقع أن المؤلف ـ رغم مسئوليته الكاملة عن كل ما ورد ـ فى هذا الكتاب قد استفاد من النقاشات والحوارات والإضافات التى قدمها العديد من الزملاء الباحثين حول الجوانب والأبعاد المختلفة لهذا الموضوع المهم ، ففى أثناء عمله أستاذًا زائرًا فى جامعة لندن (SOAS) قبل قرابة عقد من الزمان ـ حيث كانت بذور الدراسات المكونة لهذا الكتاب ، تناقش مع الأستاذ خالد الخاطر فى الكثير من جوانبه ، وكانت أطروحته الأكاديمية خير معين لنا فى الفصلين الأول والثالث ، كما تناقشنا فى الجوانب الشرعية والأصولية فى ذات الفصلين مع الدكتور إبراهيم بن عبد الله الأنصارى ـ والذى كان يعد رسالته ـ حينئذ عن التجديد فى أصول الفقه ـ فى جامعة لندن ، ومع الدكتور محمد المصلح الذى

كان يعد رسالته عن «الإصلاح فى فكر الإمام الغزالى» فى جامعة برمنجهام وإليهما ترجع معظم الاجتهادات الشرعية، كما استفاد الباحث فى الفصل الثالث من النقاش مع الباحثة المجتهدة الأستاذة شيرين فهمى بالجامعة الأمريكية بالقاهرة والواعدة فى مجال الاجتهاد السياسى، كما استفدنا من المعلومات القيمة والإضافات التى قدمها الباحث المجتهد الأستاذ أحمد التهامى بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية فى الفصل الرابع، وفى الفصل الخامس كان للنقاش مع الدكتور محمد عياش الكبيسى أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة قطر، الدور الكبير فى بلورة أفكارنا فيه..

ومرة أخرى فإن المؤلف وحده هو المسئول عن كل ما ورد فى هذه الدراسة؛ فإن وفقت فالفضل لله وحده أولاً وآخرًا، وإن تك الأخرى فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها. ﴿**وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾ [محمد: ٣٨].

د. حامد قويسى

جامعة لندن (SOAS)

أبريل ٢٠٠٩